اتفاقات البحـــر المتوسط

(فبراير — ديسمبر ١٨٨٧)

بقلم الدكتور حسن محمد صبحي

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

كلية الآداب — جامعة الاسكندرية

يمتاز الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمحاولة بريطانيا لإنهاء « عزلتها » وذلك حينما بدأوا فى انجلترا يشـكون — فى الثمانينات والتسعينات — فى جدوى سياسة العزلة هذه فالتوسع الاستعمارى فى أفريقية وفى الشرق الأقصى قد أدى إلى نزاع مع فرنسا والمانيا والروسيا . وهذا أوضح لانجلترا أنها لم تعد تتمتع باحتكار فى ميدان التوسع الاستعمارى . والتعاون الفرنسى الالمـــانى فى عامى ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ قد ساعد هاتين الدولتين على إرساء قواعد لامبراطوريات أفريقية دون أن يسألا انجلـترا موافقة على ذلك . كذلك كانوا يخشون فى انجلترا أن يتوصل منافسوهـا إلى انهاء خلافاتهم وتـكوين تـكتل فى القـارة الأوربية . وإذا تمكن منافسوها من عزلتها فقد يتمكنون حينئذ من الضغط عليها فى جنوب افريقية ومصر ومضايقتها هنـــاك (١)

وفى غمار هذا الاتجاه الجديد لبريطانيا تجىء هـــذه الاتفاقات المعروفة باسم

---

(١) Bruce, The Shaping of The Modern World 1870—1939. Vol I. p. 886.

اتفاقات البحر المتوسط (١٨٨٧) . ولكن هذه الاتفاقات لم تكن وليدة الرغبة الانجليزية الجديدة فقط ، بل جاءت أيضاً نتيجة لأحداث الفترة ، ومطامح إيطاليا فى شمال افريقية ومخاوفها ازاء فرنسا فى نفس الوقت ، ومخاوف النمسا من أن تتورط وحدها فى حرب ضد فرنسا بسبب ايطاليا . وفوق كل شيء جاءت هذه الاتفاقات نتيجة أيضاً لمباركة بسمارك لكل هذه الاتجاهات .

ففيما يتعلق ببريطانيا تجد أن أولى مشاكلها — بالنسبة للسياسة الخارجية كانت تكمن حينئذ فى البحر المتوسط . هكذا كان الحال حينما تولى سولسبرى رئاسة الوزارة البريطانية فى أغسطس ١٨٨٦ . فى ذلك الوقت كانت تواجه بريطانيا مشكلتان رئيسيتان : الأزمة البلغارية ، والمسألة المصرية . ففيما يتعلق بالمشكلة الأولى قامت حركة فى بلغاريا فى سبتمبر ١٨٨٥ لضم شرقى الروملى إلى بلغاريا ، وبذلك فاجأت بلغاريا العالم بالأمر الواقع ، وضربت بقررات برلين (١٨٧٨) عرض الحائط وبينت زيف الإدعاء بأنها مجرد تابعة للروسيا . ومن المعروف أن لورد بيكونزفيلد قد فرض فصل الولايتين ، ضد رغبة الروسيا عام ١٨٧٨ . ولكن الروسيا صارت تعارض الآن الوحدة بنفس إصرارها السابق على نفس الوحدة ، فالحزب المسيطر فى بلغاريا ذو ميول معارضة للاتجاه الروسى . وقد كان سولسبرى — أول الأمر — يميل إلى أن يلتزم بسياسة لورد بيكونزفيلد . ولكن الملكة فيكتوريا ، وسيرويليام هوايت السفير الانجليزى فى القسطنطينية — قد أقنعاه بأن يتبع فى هذه المسألة سياسة مغايرة لسياسة بيكونزفيلد . وفى تلك السياسة تبعت النمسا والمجر انجلترا . وهكذا كان على بريطانيا أن تعمل على تعضيد استغلال بلغاريا أبعاد النفوذ الروسى عن القسطنطينية (١) .

---

(١) Lowe, Salisbury and Mediterranean 1886—1896 pp. 2—3.

وقد كان هناك البعض — مثل لورد راندولف تشرتشل وسير روبرت موريه Robert Morier —سفير بريطانيا في بطرسبرج — ممن كانوا يرون أن تكف بريطانيا عن الوقوف في وجه الروسيا وأن تصل إلى اتفاق مع القيصر الروسى، الذى سوف يقابل مجاملة بريطانيا له الشرق الأدنى بأن يكف عن تهديده لأواسط آسيا . ولكن سولسبرى كانت له وجهة نظر مغايرة . فهو إذا نظر قدماً إلى السلام أعتبر الروسيا وفرنسا دولتين ذات ميول عدوانية (١) . فمنذ عام ١٨٧٩ تتبع فرنسا سياسة عنيفة فى توسعاتها فيما وراء البحار . ومنذ عام ١٨٨٢ وهى تشهر السكين فى كل مكان فى وجه بريطانيا وتقيم العقبات القوية فى وجه السياسة الاستعمارية الانجليزية وفى سبيل ذلك تلجأ راضية إلى المانيا ، عدوتها التقليدية تثيرها ضد انجلترا وترسم لها سوء نواياها (٢) . وانجلترا كانت تخشى التوسع الفرنسى فى شمال أفريقية ورجال بحريتها كانوا يخشون من اتخاذ فرنسا قاعدة بحرية فى سبتة بالمغرب (٣) ولا شك أن السياسة الخارجية للدولة تتأثر عادة بآراء خبرائها العسكريين (٤) . وفى خلال أعوام ١٨٨٧ — ١٨٨٩ انتابتها حمى الوطنية المزعجة التى أثارها الجنرال بولانجية Boulanger وبشكل عام أصبحت للعلاقه بين فرنسا وانجلترا كما قال روزبرى (٥) فى عام ١٨٨٦ تسبب كثيراً من المضايقة للانجليز . ففرنسا تطلب من انجلترا شيئاً مالا تستطيع اعطاءه لها أبداً ثم تشكو قائلة « أنكم لاتعملون شيئاً مطلقاً من

---

(١) Ensor, England 1870—1914. p. 195.

(٢) صفوت : الاحتلال الإنجليزى لمصر . ص ٧٦/٧٧

(٣) Marder, A., British Naval Policy, p. 271.

(٤) أنظر أيضا : حسن صبحى ، التنافس الاستعمارى الأوربى فى المغرب ص ٦٧ ٦٩ ، ص ٧٧ .

(٥) وزير خارجية إنجلترا (١٨٨٦) .

أجلنا (١) » . وبالنسبة لسولسبرى فإن فرنسا — كما يقـــول سولسبرى فى فبراير ١٨٨٧ — ترتكب طائفة من المزعجات . ففى مراكش مثلا « تسير فرنسا فى طريق ابتلاع البـــلاد قطعة فقطعة وتتطلع إلى احتـــلال طنجة (٢) ويبلغ الضيق بسولسبرى أشده حتى يذكر أنه من الصعب على المرء أن يمنع نفسه من يتمنى حرباً حرباً فرنسية المانية أخرى لتضع حداً لهذا الجور المستمر (٣) .

أما أطماع الروسيا فقد ظهرت فى طجة Perdjeh فى أواخر عام ١٨٨٥ حينما هاجمت قوة روسية أخرى أفغانية وهزمتهـا هناك فى ٣٠ مارس ١٨٨٥ ، وهذه منطقة خصبة على الحدود الأفغانية ـ التركانية . وكان ذلك الحدث منبها قوياً للخطر الذى يهدد انجلترا فى الهند من الناحية الشمالية الغربية . حينئذ بدت الدولتان — لبضعة أسابيع — على شفا الحرب . كذلك فى أواخر العام تظهر أيضاً أطماع الروسيا القلقة حينما هددت صوفيا .

هذه كانت من الدواعى التى أدت بالبريطانيين إلى الاتجاه إلى دول الحلف الثلاثى ، ولا سيما وأن انجلترا قد باتت مهددة بأن تقف وحدهـا فى المسألة المصرية وهذه — أى المسألة المصرية ـــ كانت المشـــكلة الثانية التى تجابه بريطانيا حينئذ فى البحر المتوسط ، فكان على بريطانيا أن تجابه مشكلة مباشرتها للأمور المصرية مع التخلص من العداء الفرنسى لهـــا هناك ، وتتجنب ـــ فى نفس الوقت ـــ اتجاهات بسمرك

---

(١) روزبرى إلى السفير الإنجليزى فى باريس — ١٠ أغسطس ١٨٨٦ — أنظر .
Wilson, Beckles, L' Ambassade D'Angleterre A Paris, p. 229.

(٢) سولسبرى إلى ليونز (السفير الإنجليزى فى باريس) ٥ فبراير ١٨٨٧ . المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٣) صبحى ص ٦٨ .

التي تميـــل إلى مناقشة حق الانجـــليز في مصر إذا ماناقشوا حق المانيـــا في الاستعمار (١).

ومن المعروف أن سولسبري كان له رأيه الخاص في الدولة العثمانية ومصيرها. فهو كان يبدو عديم الثقة بها، ميالا إلى تقسيمها ولايرى هناك داعياً لبقائها. وهو لذلك يهتم بالمحافظة على المصالح الانجليزية لا بحماية تركيا من الخطر الروسي (٢) وقد وضح اتجاه سولسبري هذا تماما حينما زاد تعقد المسألة الشرقية في السبعينيات وحينما خلف سولسبري داربي في وزاره الخارجية البريطانية (مارس ١٨٧٨) فحينئذ بدا أن سياسة سولسبري بخصوص الدولة العثمانية كانت أبعد ما تـكون عن تأييد تلك الدولة أو المحافظة عليهـــا. وكان ذلك انعكاساً لشكه فيما إذا كانت تركيا حقيقة جديرة بالدعم من جانب بريطانيا(٣). صحيح أنه لم يفقد حينئذ الأمل نهائياً في إصلاح الأحوال في تركيا، ولكنه كان يرى أن الامبراطورية العثمانية قد دب فيها الفساد والعفن إلى حد كبير، وأنها تسير حتما إلى النهاية. وكان يعتقد بجدوى تأجيل سقوط الامبراطورية العثمانية ـــ بالنسبة لانجلترا ـــ حتى قيـام الثورة في الروسيا وأنه من مصلحة انجلترا تأجيل حدوث هذه الـكارثة (٤). أما السياسة العملية في نظره فهي الاشراف الفعـــلي على فرق المواصلات المائية إلى الهند، وذلك باحتلال مصر وقناة السويس وكريت والعمل على القضاء على الدولة العثمانية (٥).

واستولت بريطانيا على قبرص (١٨٧٨)، ومصر (١٨٨٢)، واطمأنت على مركزها في شرقي البحر المتوسط وعلى طرق مواصلاتها البحرية إلى الهند. ومع

(١) Ensor, England. p. 197.

انظر كذلك: صفوت / الاحتلال الإنجليزي لمصر. ص ١٤٢.

(٢) صفوت: نفس المرجع. ص ١٢٨ — ١٢٩.

(٣) Marder, A?, British Naval Policy, p. 271.

(٤) يظهر ذلك في خطاب خاص له إلى Layard السفير البريطاني في القسطنطينية أنظر: Medlicott, The Congress of Berlin and After, p. 345.

(٥) صفوت: إنجلترا وقناة السويس. ص ٦٦.

ذلك فقد بقيت العقبـــة الفرنسية فى مصر من ناحية كما استمر الإزعاج الروسى أو النمسوى للبلقان من ناحية أخرى .

حينئذ رأى سولسبرى — وفيما يتعلق بالبحر المتوسط ، وكما قال هو نفسه فى عام ۱۸۸۷ — أنه لا خير لانجلترا فى أى تغيير ، وأن من مصلحة انجلترا ألا يحدث من التغيير إلا أقله (۱) . ورأى سولسبرى أن تتبع حكومته — فى الأمور الداخلية كما فى الخارجية السياسة التقليدية ، ودبلوماسية الصبر وإناة بالنسبة لـكل المشكلتين . فى مصر والبلقان (۲) . ففى خريف عام ۱۸۸٦ كان سولسبرى يريد مصلحة فرنسا بـكلمات معسولة وإشارات إلى الانسحاب من مصر ، بينما يجـدد المباحثات من الباب العالى ، وكانت قد قطعت عام ۱۸۸٥ . « يتضح ذلك تماماً فى مقابلة طويلة بين سولسبرى ووادنجتون — السفير الفرنسى فى لنــــدن — خصصت كلها لبحث المسألة المصرية . وفيها يتحدث سولسبرى حديثاً ودياً ولـكن يشوبه الغموض ، كما يقول وادنجتون ، ويذكر — أى سولسبرى — أن —انجلترا وفرنسا سوف يصلان إلى اتفاق بشأن المشكلة المصرية ، وأنه يمـكنهما أن يتفقا حول ذلك الموضوع .

«... Neamoirs Je suis persurdé que Nous arriverons à une entente ... La France et l'Angleterre auront pu Se mettre d'accord.(۳)

ومن العسير تفسير ذلك على أنه مقدمة لهذه الصفقة الإنجليزية — الفرنسية التى عقدت فى أبريل عام ١٩٠٤ (الوفاق الودى) — وذلك لجملة اعتبارات لا تخفى

---

(۱) Lowe, p. 1.

(۲) Ibid. p. 5.

(۳) من حديث سولسبرى إلى وادنجتون : أنظر

Doc. Dip. Fr., Lére S., T. VI, No. 342.

Waddington à Freycinet, 3 Nov. 1836, Taes Confidential.

على كل دارس للعلاقات بين انجلترا وألمانيا وفرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . إنما بكل تأكيد يمكن اعتبار ذلك الحديث متفقاً مع رغبة سولسبرى فى مصالحة فرنسا بمجرد كلمات طيبة دون أدنى التزام من جانبه . فحينما يخبره وادنجتون بأنه لا يوجد أحد فى فرنسا يصدق أن الحكومة الإنجليزية مخلصة حينما تؤكد رغبتها فى الإعداد للجلاء عن مصر يكتفى سولسبرى بأن يصيح «إنكم تخطئون جداً .....» (١) ويؤكد أن انجلترا إنما تسعى إلى الوسائل التى تخرج بها بشرف من مصر ، وأن القوات الإنجليزية فى مصر سوف تكون أكثر نفعاً فى الهند ، وأن انجلترا مصممة على الجلاء عن مصر .

ويتمادى سولسبرى فى تصوير مسألة الجلاء كأمر جدى تفكر فيه بريطانيا فيقول « إننا حينما نعلن ميعاد جلائنا فلسوف نطلب حينئذ من أوروبا تحديد فترة يكون لنا الحق إبانها فى الرجوع إلى مصر فى ظروف محددة إذا نشأت فى مصر حالة جديدة وخطيرة من الفوضى .....» وحينما يسأله وادنجتون « وهل فاتحت الآخرين — أى الدول الأخرى تلك الفكرة ؟ يجيب سولسبرى : « لا إنك أول شخص أتحدث معه فى هذا الموضوع ثم يشير سولسبرى إلى المصاعب البرلمانية» التى توجد فى انجلترا ، وكيف أنهم فى انجلترا — كما فى فرنسا — يثورون بسهولة عند إثارة القضية المصرية (٢) .

وبهذه الطريقة كان سولسبرى يظن أنه من الممكن مصالحة فرنسا فى مصر . وكان ذلك بالنسبة له يبدو أمراً معقولا إذا كان عليه أن يقف فى وجه الروسيا فى نفس الوقت فى البلقان . وهو يقترح — وسيلة لذلك — التعاون مع النمسا فى

---

(١) On se trompe grandement chez vous, Lorsqu' on croit que nous

(٢) Ibid.

سياسة ترمى إلى تعضيد الأمير اسكندر فى بلغاريا . ولكن الوزارة رفضت كلى الاقتراحين ، وكان تشرشل Randolphe Churchill وزير المالية وزعيم مجلس العموم — يعارض سياسة سولسبرى(١) . كذلك حدث ما جعل سياسة سولسبرى — فيما يتعلق بالتعاون مع النمسا لصد الروسيا فى البلقان — لا تلقى نجاحاً يذكر فبسمرك كان غاية فى الصراحة فيما يتعلق بذلك الأمر ، وبين بوضوح أنه لن يحرك أصبعاً من أجل الأمير اسكندر فى بلغاريا ، وأن بلغاريا وحتى القسطنطينية منطقة مصالح روسية لن يتدخل فيها أو يسمح للنمسا بالتدخل. واقترح بسمرك على بريطانيا — متهكما — أن تستأجر تركيا إذا أرادت أن تعارض الروسيا فى البلقان(٢). Mit Geld laest sich in der Tuerkei alles machen والنمسا من ناحية أخرى لم تبد تجاوبا مما جعل ادسلى Iddesleigh — وزير الخارجية الإنجليزية — لا يتأمل الكثير منها فى تلك المسألة . فالروسيا كانت قد أكدت للنمسا أنها لن تغزو بلغاريا(٣) .

ولكن بمجىء يناير عام ١٨٨٧ كان يبدو أن سولسبرى قد تخلص من بعض العقبات. فهو تخلص مثلا من تشرشل فى ديسمبر من العام السابق ، وبسمرك — وقد شغل بأمر مباحثاته مع النمسا وإيطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى — بدأ أكثر استعداد للتعاون مع انجلترا . وكانت النتيجة أن سولسبرى صار فى ذلك الوقت قادراً على اتباع سياسة يختارها هو ، وكان يرمى إلى عقد اتفاقية مع إيطاليا والنمسا لحماية الحالة الراهنة فى شرق المتوسط . وإجراء مباحثات بشأن تحديد أجل الاحتلال الانجليزى لمصر وبذلك يصالح فرنسا ويرضيها . وكان ذلك يعنى الرجوع إلى سياسة القرم(٤)

---

(١) Lowe, p. 5.

(٢) بالمال يفعل المرء أى شىء فى تركيا . أنظر : Lowe p. 7.

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) Lowe, p. 8.

الأمر الذى كان تشرشل يعارضه بشدة . ولكن ذلك لم يكن يعنى أن سولسبرى كان يرى جدوى فى الجلاء عن مصر أو يفكر فى ذلك حقيقة .

نلحظ أن بسمرك أيضاً كان يعمل على ارجاع « تكتل القرم» بطريقته الخاصة ووضح ذلك فى مذكرة له فى نوفمبر ١٨٨٦ (١) . ولكن بينما كان سولسبرى يعمل على مصالحة فرنسا وإيهامها بجدية التفكير الانجليزى فى الجلاء عن مصر ، كان بسمرك يعمل على التوسط بين انجلترا وفرنسا لمصالحتهما . وكان بسمرك يسعى إلى ذلك تقربا من فرنسا التى اخذت تتأكد من نوايا بسمرك السليمة ، بل وفكرت فى تجديد وفاق فرى مع المانيا إذا ما ساعد بسمرك فرنسا ضد انجلترا فى مصر . ولما كان بسمرك لا يستطيع أن يفقد انجلترا من أجل فرنسا ، فقد عرض الوساطة بين الدولتين . وبهذا — كما يرى بسمرك — يتكون تكتل شبيه بتكتل القرم يعمل على تخفيف التوتر للموقف فى البلقان ويرغم الروسية على احترام الاتفاقات(٢) . ولكن انجلترا لم ترحب وتتشذ بذلك الامر . فمصر وموقف فرنسا فى البحر المتوسط بشكل عام بالاضافة الى رغبة بريطانيا فى عدم تدخل دولة ثالثة فى أمر مصالحتها مع فرنسا فى مصر (٣) كل ذلك جعل ارجاع تكتل القرم كما يراه بسمرك أمرا عسيرا .

كانت هناك عقبات أذن تحول دون سولسبرى وتنفيذ سياسته « ولكن بمجىء يناير عام ١٨٨٧ كان يبدو أنه تخلص من كثير منها . فبسمرك مثلا — وقد شغل بأمر محادثاته مع النمسا وإيطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى — بدأ أكثر استعداد للتعاون مع انجلترا ففترة السنوات الخمس للحلف الثلاثى كانت قد قاربت على الانتهاء

---

(١) Taylor, The Struggle For Mastery in Europe 1843–1919. p 305

(٢) نفس المذكرة بالمرجع السابق .

(٣) كانت إنجلترا تعلم جيدا أن فرنسا سوف تقف وحدها إذا ما قام نزاع بينها وبين إنجلترا بشأن مصر . انظر : نفس المرجع .

فكان لابد من تجديد ولكن كانت هناك مصاعب معينة تعترض اتمام ذلك — فالنمسا كانت راغبة عن الارتباط كثيرا بإيطاليا نظرا للتنافس الإيطالى الفرنسى فى البحر المتوسط ، بينما ايطاليا كانت تخشى مغبة أطماع النمسا فى البلقان وتوريط نفسها من أجل ذلك فى حرب مع الروسيا . ولكن لما كان بسمرك حريصا على تجديد الحلف، فقد وجد طريقا الى ذلك التعاون مع انجلترا التى كانت على استعداد لذلك نظرا لمصاعبها مع الروسيا وفرنسا . (١) وكانت النتيجة أن سو لسبرى صار فى ذلك الوقت قادرا على اتباع سياسة يختارها هو وتهدف كما ذكرنا الى الاتفاق مع ايطاليا والنمسا ومصالحة فرنسا وارضائها عن طريق عقد اتفاقية مع ايطاليا والنمسا واجراء مباحثات بشأن تحديد أجل للاحتلال الانجليزى لمصر .

والتغيير المفاجىء فى سياسة بسمرك ، وهو التغيير الذى أدى الى عقد اتفاقيات البحر المتوسط فى فبراير ومارس ١٨٨٧ وإلى زيادة التعاون بين انجلترا والتحالف الثلاثى، يراه Lowe يرجع بالدرجة الأولى الى الضغط الايطالى (٢) بينما يراه Taylor يرجع الى موقف فرنسا الذى أملى على أوربا دبلوماسية سنة ١٨٨٧ (٣) .

فبسمرك — كما يرى تيلور — كان يرجو أن ترتمى فرنسا فى أحضان الروسيا، بعد هذه العزلة لفرنسا فى القارة ، وهذا بالتالى يدفع انجلترا إلى الانضمام الى جانب النمسا والمجر فى المسألة البلغارية . ولكن فرنسا فوتت على بسمرك هذا الهدف بأن قررت أن تحذو حذو المانيا فى الازمة . هكذا تحرك بسمرك فى عام ١٨٨٧ يتعاون مع انجلترا (٤) . أما Lowe فينظر الى الاراء القائلة بأن اتفاقات البحر المتوسط

---

(١) Bruce, p. 196.
(٢) Lowe, p. 8
(٣) Taylor, p. 310.
(٤) Ibid.

هى فروع التحالف الثلاثى على أنها مبالغة ، ويرجع هذه الاراء إلى نفوذ الوثائق الالمانية على التاريخ الدبلوماسى لتلك الفترة .

ومن المؤكد أنه كانت هناك عوامل خاصة بايطاليا، واخرى بانجلترا قد انتجت هذة الاتفاقيات ، وكان لكل من سولسبرى ، وكرسى وجهة نظر دفعته إلى قبول المفاوضات من أجل هذه الاتفاقيات .وفيما يتعلق بايطاليافإن من أهم دوافعها للتفاوض مع بريطانيا بهذا الخصوص كانت أطماعها الاستعمارية والتى كانت تتلخص فى كلمة واحدة : طرابلس .

ومن ناحية ثانية هناك مخاوف الإيطاليين ازاء فرنسا . فالايطاليون يرفضون بشدة وصاية الفرنسيين عليهم أو رعايتهم لها منذ أيام نابليون الثالث . وهم أيضا يخافون من امتلاك الفرنسيين لحوض البحر المتوسط ومن تآمرهم ضدهم .لذلك يصمم الايطاليون على زيادة قوتهم تفاديا لاذلال آخر قد يحيق بهم . كل ذلك بجانب المشكلة الإيطالية الأصلية والمستمرة مشكلة «الاريدنتا» Qnti-Austian irredentism قد أعطى اتجاها جديدا للسياسة الإيطالية الخارجية . وبمجىء عام ١٨٨٤ رأينا دبلوماسيين ايطاليين مثل روبلان Robilant (١) يتزعجون خشية توسع فرنسى جديد دون معوق ويصممون على الوقوف فى وجه المنافسة الفرنسية وهؤلاء كانوا يخشون أيضاً أن يؤدى إستيلاء فرنسا على المغرب وطرابلس إلى انفجار شعبى فى إيطاليا يطيح بالملكية ويخشون ما قد يترتب علي ذلك من عواقب بالنسبة لايطاليا . . . (٢) .

---

(١) وزير الخارجية الإيطالية ١٨٨٥ — ١٨٨٧ .

(٢) Ibid.

ذلك دعا إلى زياده اهتمام إيطاليا بطرابلس عام ١٨٨٤ . ولكن إيطاليا لم تشأ أن تسير فى ركاب المانيا وفرى (فرنسا) ضد انجلترا سعياً وراء الغنيمة . وعلى ذلك يرفض مانشينى (١) مفاتحات فرى بشأن وفاق استعمارى فرنسى — إيطالى ، ويبدو ميالا إلى التعاون مع انجلترا بخصوص مصر والسويس ، املا منه فى ان يؤدى ذلك إلى تفاهم إيطالى — انجليزى قوى يعمل على حماية المصالح الإيطالية فى البحر المتوسط (٢) فهم فى ايطاليا كانوا يعتقدون أن انجلترا هى أخلص صديق لهم فى أوربا . وهذه النظرة الإيطالية إلى انجلترا نجدها واضحة تماما فى اتفاقها مع المانيا سنة ١٨٨٢ ، كما تتضح أكثر بالنسبة لتجديدات التحالف الثلاثى فيما بعد .

وفى سنة ١٨٨٦ كان الموقف — بالنسبة لإيطاليا — كما كان عام ١٨٨٤ مع فارق هو تصدع وفاق بسمرك الاستعمارى مع فرنسا إلى حد الانهيار . والموقف فى البلقان قد أوحى إلى روبيلان Robilant بأنه من الممكن الحصول من ألمانيا على بعض الضمان لصالح إيطاليا فى البحر المتوسط وتنمية التعاون مع انجلترا فى نفس الوقت (٣) .

وكان روبيلان واثقاً من نفسة فهو يصر على تعضيد ألمانى لإيطاليا فى طرابلس ثمناً لتجديد الحلف الثلاثى . ولم يكن يهم روبيلان أن يعنى ذلك تعارضاً مع انجلترا وفرنسا ، فعلى بسمرك تحديد ذلك . وفى أكتوبر (١٨٨٦) جاء رد بسمرك كما ارسل به لوناى Launay السفير الايطالى فى برلين — إلى روبيلان وفيه يقول أن بسمرك

---

(١) وزير خارجية إيطاليا (١٨٨١ — ١٨٨٧) .

(٢) Lowe, pp, 9–10.

(٣) p6-01Lowe, p. 11

« n' hésite Pas à formuler son cpinion dans ce sens qu' il serait tout contraire tout à l'interêt de lA, llemagne au' à eelui de l'Italie d'entrer dans les vues de la France. »

وكان ذلك يعنى أن على إيطاليا أن تتجة إلى انجلترا .

وباتضاح موقف بسمرك إزاء ما ينبغى أن تكون علية العلاقات الإيطالية — الفرنسية يسعى روبيلان لعقد تحالف مع انجلترا ويستدعى Lumley السفير البريطانى فى روما — يوم ٢٢ اكتوبر (١٨٨٦) ويخبره أنة على استعداد لبحث لمسألةالمصرية كما يظهر روبيلان ذلك على الملأ فىخطبه عامة له فىنوفمبر١٨٨٦(١)

ولكن لم يكن لهذا أثر يذكر فالانجليز كانوا يريدون تعضيداً فى بلغاريا الأمرالذى كان روبيلان راغباً عنه ، والايطاليون يعرضون تأييدهم للانجليز فى مصر وهو أمر كان الإنجليز يشكون كثيراً فى قيمته (٢)

فشل روبيلان إذن فى دفع بريطانيا إلى اتخاذ الخطوة الأولى نحو عقد تحالف إيطالى — انجليزى فقام هو بتلك الخطرة وقابل كورتى corti السفير الإيطالى فى لندن سولسبرى فى ٧ ، ١٧ يناير ١٨٨٧ ، وأشار إلى أن الوقت قد حان لتفاهم انجليزى — إيطالى (٣) ، وفى هذه المقابلة الأخيرة يقول سولسبرى للسفيرالايطالى أنه يود أن يجعل العلاقات مع إيطاليا أكثر توطداً وأكثر نفعاً . (٤)

---

(١) Lowe, p. 12.
(٢) Ibid.
(٣) Ibid. p. 13.
(٤) Taylor,

واقتراحات كورتى كانت غامضة الى حد ما (يناير ١٨٨٧) . ولكن مهما يكن فهم سولسبرى للعروض الايطالية،سواء كانت توحي بتعضيد إيطالى فى بلغاويا بالذات أو شرقى المتوسط عامة ، فإن سولسبرى — كما كتب إلى سفيره فى القسطنطينية Morier فى ١٩ يناير ١٨٨٧ — كان يعتقد بأن استخدام إيطاليا فى الدفاع عن الحالة الراهنة فى الشرق إنما هو أمر واقع(١) .

ولكن اقتراحات روبيلان التى جاءت بالتفصيل فيما بعد (١ فبراير ١٨٨٧) — كانت على عكس ما توقع الانجليز . فهي وإن كانت تتكلم عن أثرها فى القضاء على الخطر الروسى إلا أنه يبدو أنها كانت ترمى إلى تحالف فى حالة الحرب ضد فرنسا(٢) وكان ذلك أكثر مما كان يرمى إليه سولسبرى(٣). فالإيطاليون كانوا يرغبون فى عقد إتفاقية محددة واضحة لمراعاة الحالة الراهنة فى البحر المتوسط . وقد اقترحوا لذلك مراعاة الحالة الراهنة فى البحر المتوسط والإدرياتى والإيجى والبحر الأسود ومقاومة كل ضم أو حماية أو احتلال فى هذه الجهات وعدم احداث تغيير فى هذه المناطق مهما كان دون موافقة مسبقه من انجلترا وإيطاليا،والتأييد الإيطالى لانجلترا فى مصر مقابل التأييد البريطانى لايطاليا فى شمال أفريقية ولا سيما فى برقة وطرابلس وذلك ضد أى غزو تقوم به دولة ثالثة ، وأخيراً تعضيدا عاما متبادلا فى البحر المتوسط . ولكن يلاحظ أن كل هذه المقترحات كانت تعنى أكثر من حلف ضد فرنسا أو ضد النمسا والمجر فيما يتعلق بالإدرياتى(٤).

---

(١) Taylor, p. 310

(٢) Lowe, p. 14.

(٣) Ibid.

(٤) Taylor, p. 311.

ولكن يبدو أن الإيطاليين — بهذا العرض — كانوا قد أساءوا فهم البريطانيين فالبريطانيون، رغم أنهم كانوا مستعدين لإعطاء إيطاليا نوعا من التعضيد فى طرابلس كما أعطاهم الإيطاليون فى مصر ، لم يكونا على استعداد للارتباط معهم بحلف من هذا النوع . فقد يلجأ مثلا خليفة روبيلان إلى شن حرب ضد فرنسا لاسترجاع نيس وسافوى وعلى أى حال ، فانجلترا لم يكن لديها ما يمنع من إيجاد تفاهم مع إيطاليا — فى حالة زوال إحتمال عمل إيطاليا على استرجاع نيس وسافوى ... فطرابلس نفسها ، فى هذه المرحلة، لم تكن تكون عقبة فى سبيل مثل هذا التفاهم. وقد أكد سولسبرى لكورتى أنه فى الوقت الملائم فإن إيطاليا هى التى سوف تحتل طرابلس وليست فرنسا وكانت انجلترا تعلم أن طرابلس لا تثير مشكلة تذكر مع فرنسا(١) .

وكان على كورتى أن يؤكد لسولبرى أن إيطاليا ليست لديها أى نية لمهاجمة فرنسا ولكن إيطاليا — ببساطة — تريد ألا تتكرر مسألة تونس بصورة أخرى. وقد أكد روبيلان ذلك فى ٧ فبراير ١٨٨٧ (٢).

وإذا كانت إيطاليا حقيقة ليست لديها النية لمهاجمة فرنسا فإن اتفاقا مع إيطاليا يربط انجلترا بدول الوسط يبدو لانجلترا إذا ميزات متعددة بالنسبة لها ولكن الأمر الذى كان يخيف سولسبرى حينئذ كان هـذا الذى يقوله بسمرك فى الرايشستاج Reichstager وما كان يعنيه عن قرب حدوث حرب فرنسية — ألمانية .

وفى الواقع كانت الصحافة الألمانية والرأى العام الألمانى حينئذ يتكلم عن استعدادت فرنسية على الحدود وعن النزعة الحربية للجنرال بولانيجه Boulânger وزير

---

(١) Ibid.

(٢) Ibbid. p. 15.

الحرب الفرنسى(١) . ورغم أن Hatzfeldt السفير الألمانى فى لندن — قد أبلغ سولسبرى فى ٢٤ يناير ١٨٨٧ أن ألمانيا سوف تهاجم فرنسا فى الحال إذا استمرت استعدادات بولانجيه الحربية(٢) إلا أن كلى المستشار والقيصر فى ألمانيا لا يفتا يؤكد نزعة ألمانيا السلمية إزاء فرنسا(٣) ذلك يرجح الرأى القائل بأن الخطر الفرنسى على ألمانيا حينئذ إنما هو خطر وهمى كان يحلو لبسمرك أن يخلقه .

وبسمرك من ناحية أخرى — كان يتعجل حدوث اتفاق إيطالى — انجليزى ، وذلك قبل أن يضع KaInoky العقبات فى اللحظة الأخيرة .... ونرى بسمرك فى هذه المباحثات الانجليزية — الإيطالية مهتما بالشرق وليس بالغرب . فهو باهتمامه كثيراً بالارتباط مــع انجلترا فى الشرق إنما يضمن أن إيطاليا سوف تكون عند التزاماتها — الأمر الذى كانت فيينا تشك فيـــه . ذلك يفسره ما أبلغه بسمرك إلى MaIat — السفير البريطانى فى برلين — فى يوم ١ فبراير١٨٨٧ بأنه ليست هناك حاجة إلى أى اتفاق موجهة ضد فرنسا ، بل إن كل المطلوب هوتفاهم بخصوص الشرق .

فى نفس الوقت يقنع الانجليز Hatzfaldt — السفير الالمانى فى لندن بإعطاء ضمان لتأييد المانيا فى مصر (٤) .

---

(١) أنظر Herbette (برلين) إلى Flourins ٢٣ يناير ١٨٨٧ — الوثائق الفرنسية .

(٢) المجموعة الأولى — جزء ٦ رقم ٤٠٤ .

(٣) Lowe, p. 15.

(٤) أنظر Flourina إلى Laboulaye (سان بيترسبورج) - ٣فبراير١٨٨٧ — الوثائق الفرنسية — المجموعة الأولى — جزء ٦ رقم ٤٢٢ .

على أية حال ، نجد أنه بمجيء أو فبراير ١٨٨٧ اتضح أنه كان هناك قدر كبير من التفاهم بين سولسبرى وروبيلان . واطمأن الانجليز إلى نزعة إيطاليا ، فقد أوضح Robilant أن كل ما يطلبه هو التأكد من عدم وجود احتمال اتفاق أوروبى قد يعطى طرابلس إلى فرنسا ، فهذا من شأنه أن يحدث زوبعة فى إيطاليا قد تؤدى إلى الحرب(١) .

وهكذا نجد أن الوزارة البريطانية تطمئن ، وتسمح لسولسبرى بأن يجيب روبيلان بالموافقة (٢ فبراير ١٨٨٧) ولا سيما وأن تشرشل كان - كما ذكرنا - قد خرج من الوزارة ولم يعد سولسبرى يجد معارضة لآرائه .

واستقالت الوزارة الإيطالية التى كان روبيلان وزيرا للخارجية بها (٥ فبراير ١٨٨٧) جعل سولسبرى يسرع بعقد الاتفاق المنشود ، وذلك قبل أن تقف أوضاع إيطاليا الداخلية فى سبيل خططه(٢) .

وأخيرا تتمكن كل من بريطانيا وإيطاليا من الوصول إلى اتفاقية سرية (١٢ فبراير ١٨٨٧) وهى الاتفاقية الأولى من سلسلة الاتفاقات التى عقدتها بريطانيا مع الدول وسميت باسم اتفاقات البحر المتوسط **Mediterranean Agreements** .

وهذه اتفاقية من أجل حفظ الحالة الراهنة فى البحر المتوسط والبحر الإدرياتى والبحر الإيجى والبحر الأسود . وفيها تتعهد إيطاليا بتعضيد المصالح البريطانية فى مصر ، كما تتعهد بريطانيا بحماية السواحل الإيطالية من الأسطول الفرنسى(٣).

---

(١) Ioqe, pp. 15—16.
(٢) Ibid. p.16.
(٣) Libd.

وقـد جاءت هذه الاتفاقية ـ كما أرادها سولسبرى ـ تخدم الظروف الحاضرة ولا ترتبط بها بريطانيا ارتباطا محددا ولا تعطى الإيطاليين سـوى موافقة عامة لفـكرة التعاون . وقد أضاف سولسبرى إلى الاتفاقية جملة غامضة حول مضمون هذا التعاون تقول :

« . . . the character of that co—operation must be decided by them when the occasion for it arises, according to the circumstances of the case. »

وكان سولسبرى يعنى بـكلمة by them الانجليز ، بينما كان الايطاليون يفهمونها على أنها تعنى كلا من الحـكومتين البريطانية والإيطالية(١)

وقد لجأ سولسبرى إلى جعل الاتفاق على شكل خطابات متبادلة وليس بصورة معاهدة. وهى طريقة يستطيع بها أن ينفى للبرلمان أنه قد فعل أى شىء..وفى نفس الوقت فهو يخبر روبيلان أن تفاهما بين بريطانيا وإيطاليا على ذلك النحو سوف يـكون له نفس تأثير « الأتفاقية » وعلى أى حال ففى نظر سوالسبرى فإن اتفاقه مع إيطاليا يمثل اتجاها سياسيا سليماً بالنسبة للصداقة التقليدية بين الإيطاليين والبريطانيون .(٢)

وبالنسبة لايطاليا نجد أن الحلف الجديد مع انجلترا يخدمها سواء بالنسبة لمركزها فى المتوسط وأطماعها هناك أو بالنسبة لعلاقاتها بالحلف الثلاثى . . .فهذا الحلف قد قوى من مركز إيطاليا كثيرا ، كما اعترف — لأول مرة — بأطماعها فى المتوسط

---

(١) Taylor,p. 311.

(٢) Lowe, p, 196.

فالمادة الثالثة من اتفاقها مع انجلترا تنص على أنه بينما على إيطاليا أن تعضد بريطانيا في مصر فأن على بريطانيا بالتالي — في حالة اغتصاب أراضي دولة ثالثة (طبعاً بالبحر المتوسط ، والمقصود هنا فرنسا والمغرب) — أن تعضد عملى إيطاليا في أي جهة أخرى على سواحل افريقية الشمالية ولاسيما في برقة وطرابلس. (٢) وهكذا كان الطريق في الواقع قد تمهد للحرب الطرابلسية سنة ١٩١١ ، بعد أن حددت هذه الاتفاقية الأهداف الايطالية واعترفت بأمال بإيطاليا في شمال أفريقية.

ويعقد ايطاليا لأتفاقها مع انجلترا تتحرر النمسا من مخاوف انزلاقها وحدها إلى حرب ضد فرنسا بسبب إيطاليا، ويتجدد الحلف الثلاثي (٢٠ فبراير ١٨٨٧) بعد أسبوع من عقد اتفاق البحر المتوسط هذا وبعد مصاعب تخطاها بسمرك مستخدماً مهارة مرموقة في ذلك السبيل. فبسمرك يجدد التحالف الثلاثي بدون تغيير لارضاء كالنوكي كما فعقد اتفاقيات منفصلة بين إيطاليا كل من المانيا والنمسا والمجر. وفيها تعد المانيا إيطاليا بمساعدتها إذا حاولت فرنسا أن تمد احتلالها أو حمايتها أو سيادتها على طرابلس أو — المغرب . كذلك تعد المانيا بأن تهرع إلى نجدتها — إن هي تحركت بعدئذ في شمال أفريقية أو حتى اذا هاجمت فرنسا في أوروبا وفضلا عن ذلك فالمانيا تعد ايطاليا بان تحصل لها على ضمانات أقليمية لسلامة حدودها ومركزها البحرى وكانت تقصد بذلك كورسيكا وتونس ونيس (٢) وبذلك لم يعد التحالف الثلاثي مجرد عصبة من أجل السلام — كما كان يحلو لبسمرك أن يصفه — وصار بعيدا كل البعد عن وعود بسمرك المتكررة بتعضيد فرنسا في كل مكان ماعدا الالزاس واللورين واهداف ايطاليا في علاقتها بالنمسا تتضح ايضاً عند تجديد الحلف الثلاثي ففي اتفاقية منفصلة وملحقة بالحلف الثلاثي تتفق الدولتان على أنهما اذا وجدتا ضرورة

---

(١) Bruce. p. 196.

(٢) Taylo,r p. 312.

لاتخاذ خطوات لتغيير الحالة الراهنة فى البلقان أو الادرياتى والأيجى ،فعليهما أن تتفقا مسبقا بالنسبة للخطوات التى عليهما اتباعاً . وكذلك ينص الاتفاق فى هذه الحالة — على أن تنال كل منهما تعويضاً عن أى كسب تحصل عليه الاخرى : . وهذه الفقرة قد احتواها التجديد للحلف الثلاثى فى أعوام ١٨٩١، ١٩٠٢، ١٩١٢ و نلحظ أن ايطاليا تتخلى عن الحلف الثلاثى فى سنة ١٩١٥ بحجة أن هجوم النمسا على الصرب هو خرق لهذا الا(١) .

وهكذا بمجىء فبراير ١٨٨٧ كان سولسبوى قد حصل أخيراً على ما كان يسعى للحصول عليه منذ صيف سنة ١٨٨٦ : اتفاقية ربطت بين دول الوسط بهدف الدفاع عن الحالة الراهنة فى الشرق ، ولاسيما وأن موافقة النمسا عليها(مارس ١٨٨٧) قد زادت من قيمتها .

وكانت الاسباب الرئيسة لامتناع كالنوكى Kalnoke عن ذلك فى موقف برلين من ناحية ، وما كان يراه من عدم الاعتماد على السياسة البريطانية التى كانت متأثرة بنفوذ تشرشل من ناحية أخرى ولكن الآن — فقد ذهب تشرشل — ومنذ ١٦ فبراير قد بدأت برلين تتعجله الانضمام إلى التكتل البريطانى—الايطالى وبذلك لم يعد هناك ما يمنع من فتح باب المفاوضات مع بريطانيا فى ٢٣ فبراير بقصد الوصول الى اتفاق على غرار ذلك الذى عقدته بريطانيا مع ايطاليا .(٢)

وبالنسبة لانجلترا فأنه اذا كان اتفاقها مع ايطاليا (فبراير)ثم اتفاق ايطاليا مع المانيا فى الأسبوع التالى قد ضمنا الحالة الراهنة فى البحر المتوسط ضد فرنسا فإن الخطر من جانب الروسيا قد أغفلته هذه الأتفاقات .ولم يكن ذلك التجاهل بالطبع

---

(١) Bruce, pp. 196—197.
(٢) Lowe, p. 17.

الأمر الذي يسر النمسا . وهنا كان سولسبرى أيضـــا مستعدا لإرضاء النمسا . فسعي إلى ذلك الأمر وهو يرىأن الوزارة البريطانية ـ وقد انزلقت إلى اتفاقية ـ فلن تعارض فى عقد أخرى(١) .

وقد كان كالنوكى ـ كما كان رو بيلان ـ يفضل تحالفا قويا صلبا لا يربط الحكومة البريطانية الحالية فحسب ، بل الحكومات البريطانية القادمة أيضا . ولكن سولسبرى رأى أن عقد معاهدة Treaty غير مأمون العواقب بالنسبة لمركزه البرلمانى ... وجهد سولسبرى كثيرا ليقنع كالنوكى بأن اتفاقا سياسيا له قيمته على أن تترك القرارات العسكرية فيما بعد حسبما تملى الظروف والأحداث(٢) .

وقد كان لسولبرى ما أراد . وهكذا يجئ إتفاق بريطانيا مع النمسا (٢٤ مارس ١٨٨٧) وفى المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والنمسوية تذكر الحالة الراهنة وعلى الأخص فى البحرين الإيجى والأسود ولكنها لم تحتو على إشارة محددة للبلقان وهو ما كان كالنوكى يصر عليه فى أول الأمر . وهذه المذكرات ـ مثل مثيلاتها المتبادلة مع إيطاليا ـ تكلمت فقط عن تعاون دبلوماسى ، ولم يكن هناك أى وعد أو ارتباط من جانب بريطانيا بشىء(٣) . وبذلك يكون سولسبرى قد ربط انجلترا إلى تفاهم سياسى عام مع إيطاليا والنمسا فى البحر المتوسط تاركا أمر الترتيبات التفصيلية بشأن التعاون بين الدول الثلاث تحددها الظروف والضرورة(٤) .

---

(١) Taylor, p. 312.

(٢) Taylor, p. 313.

(٣) Lowe, p. 17.

(٤) Lowe, p. 18.

والاتفاق الانجليزى ـ النمسوى قد جاء بمزايا بالنسبة للنمسا . فقد حصلت النمسا على ما سبق أن رفضة روبيلان ـ وزير الخارجية الإيطالية ـ عند تحديد الحلف الثلاثى ، وهو التعضيد الإيطالى فى الشرق . وبذلك يرجع لانجلترا الفضل فى ازدياد تماسك التحالف الثلاثى ، فكالنوكى ـ فى أول الأمـــر ـ لم يول هذ ـ الاتفاقات اهتماما يذكر(١) .

وهكذا تكون اتفاقات فبراير ومارس ١٨٨٧ قد خلقت وفاقا ثلاثيا يحمى مصالح بريطانيا فى مصر ومصالح إيطاليا فى طرابلس ومصالح الجميع فى القسطنطينية ونلحظ أنه رغم أن فرنسا لم تكن تعلم شيئاً عن أية اتفاقية مكتوبة تدور حول البحر المتوسط وكذلك كان الروس ، إلا أن هـذه الحقيقة عن التعاون الدبلوماسى الذى اشتملت عليه هذه الاتفاقات كانت واضحة للجميع(٢) .

وقد يكون هدف سولسبرى من هذه الاتفاقات هـــو ضمان تأييد دول وسط أوروبا الدبلوماسى فى المسألة المصرية ، ولكنه على أية حال قد برر هذه الاتفاقات للملكة فكتوريا بأنها أحسن طريقة لدرء خطر عصبة من دول القارة الأوربية قد تسعى إلى تقسيم الإمبراطوريه البريطانية(٣) .

والاتفاقات فى حد ذاتها نصر كبير للدبلوماسية البريطانية . فقد حصل الانجليز على تأييد دبلوماسى لهم دون وعد صريح بعمل قد يعقب ذلك التأييد وبذلك ضمن الانجليز أغلبية صامدة فى وجه الفرنسيين فى مصر(٤) .

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid. 314.

(٣) Ibid. p. 313.

(٤) Ibid.

كانت الخطوة التالية لسولسبرى ـ بعد عقد اتفاقه مع النمسا(مارس ١٨٨٧) ، هى انتهاز فرصة هذا الموقف ـ غياب تشرشل من ناحية ، وتعضيد بسمرك من ناحية أخرى — وأحياء فكرة المفاوضات بخصوص الانسحاب من مصر(١)..

وبعد تسعة شهور اتخذت الأمور شكلها النهائى بعقد اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧) : وهى اتفاقية لا يحمل اسمها سوى النذر اليسير من المعنى لأنها لا تحتوي إلا القليل عن البحر المتوسط . وإنما هى قد جاءت على أية حال نتيجة للإزمة البلغارية وميول كل من كرسبي وكالنوكى . .

ففى ٧ يوليو (١٨٨٧) انتخب المجلس البلغارى فردينان Ferdinanand Coburg أمـيرا متحديا بذلك رغبات الروس ، وبدا التدخل الروسى وشيك الوقوع . وتـكرر موقف الخريف الأسبق : كل من بسمرك وسـولسبرى يرغب فى أن يكل إلى الآخر أمر تعضيد النمسا والمجر. وفى ٣ أغسطس يقابل سولسبرى هاتز فلد Harjzfeldt فى لندن ويبدآن سلسلة من المناقشات حول الأمور العالمية . وبدا الأمر طبعاً . فسولسبرى يصر على أنه من غير الممـكن إنقاذ الإمبراطورية العثمانية وأن إنجلترا سوف تضطر إلى اقتسامها مع الروسيا ، ما لم تعضدها ألمانيا . ولـكن بسمرك لم يخدع، وسرعان ما أرسل إلى سفيره فى لندن — بعد أقل من أسبوع(٢) — بأن من دواعى سروره أن يعمل على تشجيع تفاهم روسى — إنجليزى . وحينئذ تراجع سولسبرى وأجاب بأنه لا يستطيع أن يخذل ايطاليا ويهجرها وأن اتفاقية إنجليزية روسية على أية حال ، أمر مستحيل وهذا هو الأمر الوحيد فى المسألة الذى كان بسمرك يعمل على تحقيقه (٣) .

---

(١) Lowe, p. 18.

(٢) فى ٨ أغسطس ١٨٨٧ . أنظر : Taylor, p. 319

(٣) نفس المرجع ص ٣١٩ .

وجاء دور سفراء الدول الثلاث المتحالفة (ألمانيا — النمسا والمجر — إيطاليا) في القسطنطينية . فبدأ في التشاور حول موقف تركيا في الأزمة ، وأنها سوف تسلم للروسيا عند أول تهديد روسي لها . وتكلم السفراء الثلاثة عن فكرة إعطاء تركيا قوة للمقاومة على الأقل قوة أدبية . وتبينت إيطاليا هذا الاقتراح بحماس . فكرسبي — وقد صار — رئيساً للوزراء منذ يوليو ١٨٨٧ — كان يعلم تماما مدى ضعف بلاده وتفككها ، وأعتقد أن علاج ذلك يكمن في دفع إيطاليا إلى النشاط . لذلك كان كرسبي ينتهز أى فرصة لإظهار بلاده بمظهر الدولة العظمى ، ويعمل على كسب تأييد بريطانيا بسياسته الاستعمارية العدوانية عامة وموقف إيطاليا من فرنسا في البحر المتوسط خاصة . ففي إبان وزارة كرسبي الأولى (١٨٨٧ — ١٨٩١) لم يغفل كرسبي قط — بصفته وزيراً للخارجية — مسألة بنزرت التي كان الفرنسيون قد أثاروها منذ عام ١٨٨١ . كذلك فهو لم يفتأ — طوال هذه الفترة — إثارة هذه المسألة لدى الدول الصديقة والمتحالفة وحتى المهتمة منها عند أى بادرة لأى عمل إنشائي في بنزرت مهما كان تافهاً(١) ولكنه يرمى إلى جعلها قاعدة بحرية تهدد أمن وسلام إيطاليا . وكان كرسبي يهتم على وجه الخصوص بجذب انجلترا للتعاون معه ومع حلفاء إيطاليا في عمل يهدف إلى منع استمرار فرنسا في هذه الإنشاءات فأعمال فرنسا هذه كانت تبدو في نظر كرسبي مخالفة لما سبق وتعهدت به فرنسا حينما فرضت حمايتها على تونس ، كما أنها أيضاً تخل بالتوازن وتهدد الحالة الراهنة بالبحر المتوسط(٢) .

---

(١) أنظر : crispi, Francesco, « Politica Estera » (1871—1890) "qustioni Internationali" Tradudction fr. de P. G. Grandcha : p. p. 123.

(٢) والحكومة الإنجليزية بدورها كانت تشارك كرسبي وجهة نظره ففي مذكرة لها إلى الحكومة الإيطالية في ١٩ يناير ١٨٨٩ تذكر أن بنزرت كانت « أقوى مركز استراتيجي —

وفى هذا المضمار — العمل على كسب تأييد بريطانيا لإيطاليا — كان كالنوكى يؤيد كرسبي ، فكالنوكى كان يريد جذب انجلترا أكثر إلى الشرق الأوسط . وقد رحب سولسبرى بالتفاهم مع النمسا وإيطاليا حول هذا الموضوع ، ولكنه طلب أن تغطى الاتفاقية آسيا الصغرى كما تشمل بلغاريا والمضايق . والوزارة البريطانية لم تسلم أول الأمر برأى سولسبرى بضرورة الاتفاق مع النمسا وإيطاليا ، ولكن موافقة بسمرك الأدبية — كطلب سولسبرى — على ذلك الاتفاق ودون أى وعد بمساعدة عملية أو الارتباط بسياسة معينة ، هذه الموافقة الأدبية كانت بمثابة إرضاء للوزراة البريطانية(١) .

وهكذا توقع اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧) ، وفيها تتفق الدول الثلاث على المحافظة على الحالة الراهنة فى الشرق الأدنى ، كما تتفق بوجه خاص على حرية المضايق والسلطة التركية فى آسيا الصغرى ، وسيادتها على بلغاريا . أما إذا اضطرت تركيا إلى مقاومة « أى مشروعات غير قانونية » — ومن المفروض أن تأتى من جانب الروسيا بالطبع — فإن الدول الثلاث عليها أن « تصل فى الحال إلى الوسائل التى تتخذ » لحمايتها . أما إذا تجاهلت تركيا مثل هذه « المشروعات غير القانونية » . فإن الدول الثلاث « سوف تجد مبرراً » لاحتلال ما تراه ضروريا من الأراضى التركية حسبما يتفق عليه ، باعتبار أن مثل هذا الأمر شيئاً ضرورياً . ومن

— فى البحر المتوسط » وهى لذلك تراقب بشدة الحكومة الفرنسية وتوجه نظرها إلى التزاماتها فى هذا المجال والتى تعهدت بالوفاء بها منذ عام ١٨٨١ . وكذلك فعلت ألمانيا عن طريق سفيرها فى باريس . وفى مذكرة أخرى لسولسبرى — ردا على مراسلة من حكومة كرسبي بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٨٩ — يؤكد سولسبرى أن مسألة بنزرت تهم بريطانيا بقدر لا يقل عن اهتمام إيطاليا بها ، وأنها تراقب الموضوع بكل اهتمام ويقظة — أنظر المرجع السابق ص ١٢٤/١٢٣

(١) Taylor, pp. 320—321.

ذلك نرى أنه إذا كانت اتفاقات البحر المتوسط الأولى تهدف إلى تعاون دبلوماسى ضد فرنسا على وجه الخصوص ، فإن الاتفاقية الثانية كانت تمهـد لعمل عسكرى محتمل موجه ضد الروسيا فقط .

ولـكن ارتياح سولسبرى بخصوص تلك الاتفاقية لم يستمر كثيراً . فبسمرك قد أخبره بمحتويات المحالفة النمسوية الألمانية لعام ١٨٧٩ . بالإضافة إلى ذلك فسولسبرى لم يكن ليطمئن على الإطلاق إذا علم بمحتويات الاتفاقيه الألمانية — الروسية(١) . Re-insurance Treaty (١٨٨٧) التى فيها وعد المستشار الألمانى الروسيا بالحيـاد المشبع بالعطف فى حالة تقدمها فى البلقان والمضايق(٢) . وموافقة بسمرك ومباركته لاتفاقيات البحر المتوسط وعقده لاتفاقه ذلك مع الروسيا فى نفس الوقت من المسائل المعقدة التى يصعب تفسيرها(٣).

وسقوط بسمرك (٩ مارس ١٨٩٠) لم يؤثر مباشرة على علاقة دول الوسط بانجلترا فيما يتعلق بالبحر المتوسط. وظلت ألمانيا تشجع زيادة تقارب إنجلترا من دول الوسط فنى ٧ مارس ١٨٩١ كتب مارشال Marschall وزير الخارجية الألمانية يقول « إن صداقة بين إيطاليا وانجلترا لهى شوكة خاصة فى عين فرنسا كما أنها أكبر عقبة فى وجه المطامع الفرنسية فى البحر المتوسط »(٤) .

---

(١) بدأت مفاوضات هذه الاتفاقية فى صيف عام ١٨٨٧ . وهذه هى المحالفة الرابعة المهمة بعد الحلف الألمانى — النمسوى (١٨٧٩) وحلف الأباطرة الثلاثة (١٨٨١) والتحالف الثلاثى (١٨٨٢) التى عقدها بسمرك بعد مؤتمر برلين وهذه المحالفة الروسية — الألمانية هى فى الواقع اعتراف من بسمرك بفشله فى أمرين إزالة التوتر بين ألمانيا وفرنسا وإزالته بين النمسا والروسيا من ناحية أخرى ، أنظر : Bruce, p. 879.

(٢) Bruce, pp. 198—199.

(٣) انظر : Herzfeld, Hans, Die Moderne Welt, I Teil, P. 238.

(٤) Eermau Diplomatic Documents Vol. II P. 55.

ولقد لقيت جهود ألمانيا فى تقريب انجلترا من إيطاليا برباط أقوى من ذلك الذى تم فى عام ١٨٨٧ . فاتفاقيات البحر المتوسط (مارس وديسمبر ١٨٨٧) لم ترض ألمانيا قرارات حول البحر المتوسط بالمعنى الضيق ، إنما كانت كلها تتعلق بالمشكلة الشرقية . وكانت ألمانيا تعلم أن اتجاه السياسة الإيطالية هو ضمان مصالح إيطاليا فى البحر المتوسط قدر الامكان بواسطة اتفاقيات مناسبة تحاول إيطاليا أن تخفى هذا الاتجاه فى إبان المباحثات مع ألمانيا بشأن تجديد الحلف الثلاثى . وإيطاليا بدورها كانت تعتقد بأن اتفاقها السرى مع انجلترا غير كاف لحماية مصالحها كما أنه فشل فى الاعتراف بأهمية إيطاليا بالنسبة للسياسة البريطانية(١) . لذلك تظهر اقتراحات ألمانية ترمى إلى دخول انجلترا فى اتفاق لمراعاة الحالة الراهنة فى كل حوض البحر المتوسط . ورغم أن سولسبرى كان يبغى الإستمرار فى تقارب أشد مع إيطاليا ومع الحلف الثلاثى وبالتالى ، فالدولتان لم تصلا — فى هذا المجال — إلى اتفاق محدد(٢) .

ورغم سياسة سولسبرى المتميزة بالصداقة الواضحة مع الحلف الثلاثى فقد استمرت بعد سقوط سولسبرى ومجىء روزبرى وزيرا للخارجية (١٨٩٢) إلا أن هذه العلاقة الوطيدة لا تلبث أن تنهار فى عام ١٨٩٦ — إبان وزارة سولسبرى نفسه الثالثة . فحينما تولى روزبرى وزارة الخارجية (١٨٩٢) أخبر سفراء دول الحلف الثلاثى بأنه يعتزم الاستمرار فى سياسة سولسبرى ، وأبدى السفراء ارتياحهم الودى إزاء هذه البادرة الطيبة منه . وهكذا استمرت الوزارة فى اتباع سياسة الصداقة

(٢) هكذا أخبر Tornielli السفير الإيطالى فى لندن زميله الالمانى Hatzfeldt هارتزفلد إلى الخارجية الألمانية ٢٦ مارس ١٧٩١ — سرى —
Germ Dip,II.P.94.

(٢) ملحوظة بالمرجع السابق ص ٩٤ ، انظر أيضا الفصل الخامس بإيطاليا والبحر المتوسط ، نفس المرجع ص ٩٥ ــ ١٠٧

الواضحة مع الحلف الثلاثى ، ولكن دون ارتباط أو وعد أو اتفاق محدد المعالم . وهذه كانت سياسة — كما كان يقول لورد — جراى — يمكن التخلص منها فى أى لحظة(١) . ومع ذلك فهذه العلاقة كثيراً ما كانت تثير الرأى العام الفرنسى ولا سيما فى أوقات الاحتكاك بين البلدين فتتكلم الصحافة الفرنسية عن الحلف الثلاثى ناعته إياه بالحلف الرباعى(٢) .

وفى عام ١٨٩٦ تنهار هذه العلاقة بين إنجلترا ودول الوسط ، وهى علاقة كما رأينا قد نمت وقويت بعناية منذ عام ١٨٨٧ ، وتحل محلها هذه السياسة المشهورة عن البريطانيين : العزلة الرائعة splendid Isolation ودواعى هذا التغيير معقدة فى الغالب بعكس ما تبدو به لأول وهلة . . . هناك ما يتعلق بالوزارة البريطانية فالمعارضة بالنسبة لآراء سولسبرى صارت أقوى كثيراً بعد عام ١٨٩٥ . بالإضافة إلى ذلك فقد حدث تغيير فى التفكير بشكل عام وبدأ هناك واضح فى لندن بتصدع الحلف الثلاثى . فى نفس الوقت ، صارت برلين مقتنعة — بمجىء عام ١٨٩٦ — بأن المفاوضات مع إنجلترا كانت بمثابة مضيعة للوقت . كذلك كان لاتباع ألمانيا لسياستها الاستعمارية Kolonialpolotik أثره فى إبعاد المسئولين والرأى العام فى بريطانيا عن ألمانيا(٣) . وكان ذلك فى الواقع ، يعنى انهيار اتفاقات البحر المتوسط .

وفيما عدا اتفاقات البحر المتوسط هذه ، بقيت بريطانيا بوجه عام بعيدة عن

---

(١) Grey, Twenty-Five Years vol .I.P.47.

(٢) Ibid. pp. 47-48.

(٣) انظر Lowe, pp. 91 - 94.

المحالفات الأوروبية . وقد ارتفعت أصوات فى بريطانيا فى عام ١٨٩٨ تنادى بنبذ سياسة العزلة هذه(١) .

ولـكن عقد بريطانيا لاتفاقيتها مع فرنسا (٢١ مارس ١٨٩٩) كانت نظراً لسياسة « العزلة » بالنسبة لبريطانيا(٢) . فالانجليز قد اطمأنوا — بعقـد هذه الاتفاقية على مركزهم فى مصر ، ولم تعد بريطانيـا ، ومن جهة النظر العسكرية ، فى حاجة إلى تعضيد الدول الأخرى لهـا فى مصر . وبهذا انهت فاشودة فى الواقع ما تبقى من وفاق البحر المتوسط .

---

(١) Eubauk Keith Paul Cambon — Master Diplomatist, p. 64.

(٢) Taylor, p. 382.

ثبت الاعلام

أدسلى Iddesleigh وزير الخارجية الانجليزية في وزارة سولسبرى الثانية . خلفه سولسبرى فى وزارة الخارجية فى يناير ١٨٨٧ .

بسمرك Bismarck مستشار الرايخ الألماني « ١٨٧١ — ١٨٩٠ » .

بولانجيه Boulanger, Georges-Ernest وزير الحرب فى وزارتى فريسنيه وجوبليه « يناير ١٨٨٦ — مايو ١٨٨٧ » .

بيكونزفيلد (Benjamin Disraeli) Beaconsfield الرئيس الفعلى للوزارة البريطانية « ١٨٥٢ » . رئيس الوزراء « ١٨٧٤ — ١٨٨٠ » « حصل على لقب كونت بيكونزفيلد عام ١٨٧٦ » .

تشرشل Randolph Churchil وزير مالية بريطانيا فى وزارة سولسبرى الثانية « تسكونت فى أغسطس ١٨٨٦ » . إستقال فى يناير ١٨٨٧ .

تورنيللى Tornielli السفير الإيطالى فى لندن .

تيلور Taylor, P.O.J. مؤرخ بريطانى معاصر .. عمل محاضرا فى الجامعات البريطانية . يكتب للصحافة وإشتغل معلقا على الاحداث بالإذاعة البريطانية . له مجموعة من الأعمال الجيدة فى التاريخ الدولى .

روبرت موريه Robert Morier سفير بريطانيا فى بطرسبرج .

روبيلان Robilant, Generaldi وزير خارجية إيطاليا « أكتوبر ١٨٨٥ — ابريل ١٨٨٧ » .

سولسبرى Salisbury رئيس وزارة بريطانيا ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ، ١٨٨٦ — ١٨٩٢ ، ١٨٩٥ — ١٩٠٢ .

فرناند Ferdinand of Coburg أمير بلغاريا المنتخب « ١٨٨٧ » .

فرى Ferry, Jules رئيس الوزارة الفرنسية ١٨٨٠—١٨٨١، ١٨٨٣ — ١٨٨٥ . كذلك تولى الخارجية منذ ١٨٨٣ .

فلوران Flourins وزير الخارجية الفرنسية ١٨٨٧ — ١٨٨٨

كالنوكى Kalnoky, Gustave وزير خارجية النمسا والمجر « ١٨٨١ — ١٨٩٥ »

كرسبي Francesco Crispi رئيس الوزارة الإيطالية « يوليو ١٨٨٧ — يناير ١٨٩١ »

كورتى Corti السفير الإيطالى فى لندن

لافولاى Lavoulay السفير الفرنسى فى بطرسبرج .

لاو Lowe, Cederic Jq : és محاضر فى التاريخ الدولى فى جامعة لندن (L. S. E.)

لوملى Lumley السفير البريطانى فى روما .

لوناى Launay السفير الإيطالى فى برلين .

ليارد Layard السفير البريطانى فى القسطنطينية .

ليونز Lyons السفير البريطانى فى باريس .

مارشال Marschall وزير خارجية ألمانيا « ١٨٩١ — ١٨٩٧ »

مالت Malet السفير البريطانى فى برلين .

مانشينى Mancini وزير خارجية إيطاليا « ١٨٨١ — ١٨٨٥ »

هاتزفلد Hatzfeldt السفير الألمانى فى لندن .

هربيت Herbette السفير الفرنسى فى برلين .

هوايت William white السفير البريطانى فى القسطنطينية .

وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن .

مراجع البحث

أولا : باللغات الأوربية :

— Bruce, Maurice, the Shapinc of t9e Modern, vol. I. London L959.

— CRISPI, ERANCESCO, " Politica Estera" (187— 1890)"

" Questioni Internationali " Traduction Fr. dê Grandcha : p. Tunis 1913,

— Documents diplomatiouEs Francais, 1 ere. S.m T. VI.

— ENSOR X.C.K., Englaud 1870—1914. Oxford 1949.

— EUBANK, REITH. Paul Cambon-Master Diplomatistt, Oklahoma, 1960.

— GERMAN DIPLO MATIC DOCUMENTS, 1871-1914, Vol II, selected and tranlated by E.T.S. Dugdale, London 1929,

— GREY OF FALLODON Twenty Five Years, Vol. I. London 1935.

— Herwfeld, HANS, Die Moberne Welt, I. Teil, 1957.

— LOZE. C.J.M Salisbury and The Mediterranean 1886-1896, London, 1940.

— MARDER, British Naval Policy 1880-1905, Mass. U.S.A. 1940.

— MedlicOTT, W.N., The congress Of Berlin And After (1878-1880) 1938.

— TAYLOR, A. J. P., The struggle For Mastery In Europe (1848-1914) Oxford 1954.

— WILSON, Beckles, L'A : bassade d'Augleterre A Paris (1814-1920), Paris 1929.

ثانيا : باللغة العربية :

ـ حسنى صبحى : التنافس الاستعمارى الأوربى فى المغرب (١٨٨٤ــ ١٩٠٤) دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٦٥ .

ـ محمد مصطفى صفوت : الاحتـــلال الإنجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه .

القاهرة ١٩٥٢ .

ـ محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس (١٨٥٤ــ ١٩٥٦) .